خامساً: أهم الشبه التي أثارها النصارى في عصر الحروب الصليبية

obeikandl.com

obeikandl.com

خامساً: أهم الشبه التي أثارها النصارى في عصر الحروب الصليبية

منذ أن بُعث النبي ﷺ إلى عصرنا الحاضر وأعداء الإسلام يثيرون الشبهات حول هذا الدين، كأحد أسلحتهم في محاربته والحد من انتشاره، ولن يفلحوا أبداً كما قال تعالى{يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾} [الصف: ٨] ولذلك فليس غريباً أن يكون هذا الأمر مما حرص عليه النصارى في عصر الحروب الصليبية، ولاسيما أن هذه الفترة كانت من أشد فترات الصراع العسكري بينهم وبين المسلمين، وكثير من هذه الشبه التي أثارها النصارى في هذه الفترة سبق وأن أثارها أعداء الإسلام قبلهم من المشركين أو اليهود أو غيرهم ولا شك أن الشبهات حجاب يمنع قبول الحق خصوصاً عند قوم مثل النصارى الذين اتخذوا أحبارهم أربابا من دون الله، فالقول عندهم ما قاله القسيس، لذلك حجب ضلال قساوستهم الحق عن عامتهم، ولهذا من أهم طرق إرشادهم إلى الحق هو إزالة هذه الشبه المانعة من قبوله عن الكثيرين منهم ولذلك حرص كثير من العلماء في عصر الحروب على دحض شبهات النصارى حول هذا الدين حماية له من تشويه ضلالتهم ورجاء أن يصل إلى عامتهم على الوجه الصحيح فيكون ذلك أدعى في قبوله

لديهم، وفيما يلي عرض لأهم الشبه التي أثارها النصارى في هذه الفترة ونماذج من تفنيد بعض العلماء المسلمين لها [١].

١ – دعوى خصوصية رسالة النبي ﷺ بالعرب:

مما يتحدث به النصارى قديماً وحديثاً أن محمداً ﷺ نبي العرب خاصة وعلى ذلك فلم تشملهم رسالة الإسلام، وفي عصر الحروب الصليبية أثيرت هذه الشبهة وتصدى لها بعض العلماء المسلمين مفندين لها موضحين الحق في عموم رسالة النبي ﷺ إلى الناس كافة [٢]، فقد ورد في رسالة لأحد كتاب النصارى موجهة إلى المسلمين في هذه الفترة:..(إن محمداً ﷺ لم يبعث إلينا، فلا يجب علينا اتباعه [٣]، حيث استدل هذا النصراني بآيات من القرآن إلى ما ذهب إليه منها قوله تعالى:{إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا} [يوسف: ٢] وقوله:{وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ} [إبراهيم: ٤] وقوله:{لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ} [القصص: ٤٦].

وقوله :{وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾} [الشعراء: ٢١٤] ثم قال هذا النصراني: (لا يلزمنا إلا ما جاء بلساننا، وأتانا بالتوراة والإنجيل بلغتنا[٤]) وكان رد القرافي على هذه الشبهة على النحو التالي:

أ- إن الحكمة من إرسال الرسل عموماً بألسنة أقوامهم ليكون ذلك أبلغ في الفهم بينه وبينهم حتى تقوم الحجة وتزول الشبهات

(١) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (٣١٤/١).
(٢) المصدر نفسه (٣١٥/١).
(٣) المصدر نفسه (٣١٥/١).
(٤) الأجوبة الفاخرة للقرافي ص ٩.

ويحصل البلاغ، ليكون ذلك أدعى إلى فهم غيرهم [١].

ب- أن هناك فرقاً بين قوله تعالى:{ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ} [إبراهيم: ٤] وبين أن يقال " وما أرسلنا من رسول إلا لقومه " فالقول الثاني هو المفيد لاختصاص الرسالة بهم لا الأول.

ج- أنه لو صح ما احتج به هذا النصراني من كون القرآن عربياً والنبي ﷺ يتكلم العربية فهو مرسل إلى العرب، لكان النصارى كلهم مخطئين في اتباع أحكام التوراة، فإنها نزلت بغير لسانهم، وكذلك القبط والحبشة ما علموا التوراة والإنجيل إلا كما يعلم الروم اللسان العربي بطريق التعليم[٢].

د- أنه وردت آيات كثيرة تدل على عموم الرسالة فإذا كان النصارى يعتقدون أصل الرسالة لكنها مخصوصة بالعرب، يلزمهم التعميم لهذه الآيات، كقوله تعالى:{ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا } [سبأ: ٢٨] وقد بيَّن بعض العلماء المسلمين المعنى الصحيح للآيات التي استدل بها هذا النصراني على خصوصية الرسالة للعرب، فكون القرآن باللغة العربية ومحمد ﷺ أرسل بلسان قومه العرب لا يفهم منه اختصاص رسالته ﷺ، حيث وضح كل من البغوي والرازي أن سبب إرسال الرسل بألسنة أقوامهم ليكون ذلك أدعى للفهم عنهم وأبعد عن الغلط [٣]، ثم قال البغوي: كيف هذا؟ - أي إرسال النبيَّ ﷺ بلسان قومه وقد بعث إلى كافة الخلق؟ قل بعث

(١) المصدر نفسه ص ١٠.
(٢) المصدر نفسه ص ١٠.
(٣) معالم التنزيل للبغوي (٣٣٥/٤).

من العرب بلسانهم والناس لهم تبع، ثم بث الرسل إلى الأطراف يدعونهم إلى الله عز وجل، ويترجمون لهم بألسنتهم [1]. وبين الرازي أنه لا يفهم من قوله تعالى:{ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ} [إبراهيم: ٤] خصوصية رسالة النبي ﷺ بالعرب، وذلك للآيات الكثيرة الدالة على إرساله إلى الناس كافة، ولاحتمال أن المراد من - قومه - في الآية أي أهل بلده وليس أهل دعوته، ولأن التحدي بالقرآن، وقع لجميع الثقلين الإنس والجن ولم يكن للعرب خاصة، قال تعالى:{ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ٨٨} [الإسراء: ٨٨] [2]. وقوله تعالى:{لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ} [القصص: ٤٦] لا يفهم منه خصوصية رسالته ﷺ بالعرب الذين لم يأتهم نذير قبله، ولا يعني ذلك عدم إرساله لأهل الكتاب الذين جاءتهم الرسل، ففي تفسير قوله تعالى:{ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ} [يس: ٦]. وبعد أن أورد الرازي هذه الشبهة وضح أن المراد بالآية أي: تنذر قوماً ما أنذروا بعدما ضلوا عن رسالة الرسول المتقدم فيدخل في ذلك اليهود والنصارى، لأن ذلك دليل على أن النبي ﷺ مبعوث إلى الخلق كافة [3] وأما قوله تعالى:{هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ} [الجمعة: ٢].

فبعد أن بين ابن الجوزي أن المراد بالأميين العرب نقل عن بعض العلماء في معنى الآية التي بعدها، وهي قوله تعالى:{وَءَاخَرِينَ مِنۡهُمۡ لَمَّا يَلۡحَقُواْ بِهِمۡ} [الجمعة: ٣] فدلت الآية بذلك على عموم الرسالة

(١) معالم التنزيل للبغوي (٣٣٥/٤).
(٢) تفسير الرازي (٦٣/١٠).
(٣) المصدر نفسه (٣٨/١٣).

ولـيس خصوصـيتها للعـرب دون غيـرهم وبعـد أن أورد الـرازي احتجـاج أهـل الكتـاب بهـذه الآيـة علـى خصوصـية رسـالة محمـد ﷺ للعرب رد على ذلك بقوله: إنه لا يلزم من تخصيص الشيء بالذكر نفي ما عداه، ألا ترى إلى قولـه تعـالى:{وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ} [العنكبوت: ٤٨] أنه لا يفهم منه أنه يخطه بشماله [١]، وللآيات الدالة على عموم الرسـالة كقولـه تعـالى:{كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا} [سبأ: ٢٨]، ثـم إن قوله تعالى:{وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ} [الجمعة: ٣] أن المراد كل من دخل الإسلام بعـد النبـي ﷺ إلـى يـوم القيامـة، فيكـون المـراد بـالأميين العـرب وبالآخرين سواهم من الأمم [٢]، ولا يدل قولـه تعـالى:{وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ} [الشعراء: ٢١٤]. علـى خصوصـية الرسـالة بهم دون سـواهم، حيـث وضـح القرافـي أن تخصيصـهم؛ لكـونهم أولـى النـاس بالـدعوة لقرابتهم منـه ﷺ [٣]، وذكـر الـرازي أن تخصيصـهم بالإنـذار فـي هـذه الآية بالإضافة إلى قرابتهم منه ﷺ جاء أيضاً لعظم شركهم كتكذيبهم بالحشر الذي تجاوز كفر أهل الكتاب المكذبين بنبوته ﷺ [٤] وختم القرافي رده علـى استدلال هذا النصراني بهذه الآيات ومـا شـابهها علـى خصوصـية رسـالة المصـطفى صـلى الله عليـه وسـلم بـالعرب بقولـه: " فهـذه الألفـاظ ألفـاظ لغتنـا ونحـن أعلـم بهـا، وإذا كـان عليـه السلام هو المتكلم بهـا ولـم يفهم تخصـيص الرسـالة ولا إرادتـه، بـل أنذر الروم والفرس وسائر الأمم، والعرب لم تفهم ذلك، وأعداؤه من

(١) المصدر نفسه (٥/١٥).
(٢) المصدر نفسه (٥/٥).
(٣) الأجوبة الفاخرة ص ١٢.
(٤) تفسير الرازي (١٤٦/١٣).

أهل زمانه لم يدعوا ذلك ولا فهموه، ولو فهموه لأقاموا به الحجة عليه، ونحن أيضاً لم نفهم ذلك فما فهمه إلا هذا النصراني الذي ساء سمعاً فساء إجابة" [١]، وخاطب القرطبي النصارى مبيناً أنه لا يسعهم أن يستدلوا ببعض ما جاء به محمد ﷺ ويتركوا البعض الآخر، فيجب عليهم أن يقبلوا ما جاء به إذا قبلوا بعضه، وذلك باستدلالهم بهذه الآيات وما شابهها على خصوصية الرسالة، وهو القائل ﷺ أنه مرسل إلى الناس كافة وقد ظهر صدقه في قوله، [٢]وعّد ابن الجوزي هذه الدعوى من النصارى أنها من تلبيس إبليس عليهم وإلا فمتى أثبتوا لمحمد ﷺ أصل الرسالة والنبّوة، فإن النبيّ لا يكذب، وقد بين ﷺ أنه بعث إلى الناس كافة، وكتب إلى قيصر وكسرى وسائر ملوك الأعاجم [٣]وهكذا من خلال ما سبق لم يُبق العلماء المسلمون للنصارى ما يتعلقون به في دعواهم خصوصية رسالة النبي ﷺ بالعرب، فلم يبق لهم بعد ذلك إلا قبول الحق واتباع المصطفى ﷺ وترك العناد والمكابرة وانتحال الحجج [٤].

٢ – دعوى أن القرآن ورد بتعظيم النصارى والثناء عليهم:

ففي رسالة لأحد الكتاب النصارى كتبها على لسانهم موجهة إلى المسلمين في عصر الحروب الصليبية كان من ضمن ما أورده من الشبه فيها أن القرآن ورد بتعظيم النصارى والثناء عليهم متمثلاً في ذلك فيما يلي:

---

(١) الأجوبة الفاخرة ص ١٢.

(٢) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ص ٤٤٧.

(٣) تلبيس إبليس ص ٧٣.

(٤) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (٣٢٠/١).

أ- تقديم بيع النصارى وصوامعهم على مساجد المسلمين في قوله تعالى:{ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾} [الحج: ٤٠].

ب- تعظيم القرآن الكريم للإنجيل كما في قوله تعالى:{فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾} [آل عمران: ١٨٤] والكتاب هنا هو الإنجيل وقوله تعالى :{وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾} [المائدة: ٤٦] وقوله تعالى:{ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَـٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾} [المائدة: ٤٨].

ج- مدح القرآن للنصارى كما في قوله تعالى:{لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَـٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾} [المائدة: ٨٢]. وقوله :{وَلَا تُجَـٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ} [العنكبوت: ٤٦] (١).

وقد فند القرافي هذه الشبهة مبيناً أن المراد بقوله: " ولولا

(١) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (٣٢٢/١).

الأشرار في كل زمان ما وُجد الأخيار، فزمن موسى عليه السلام يسلم أهل الأرض من بلاء يعمهم بسبب من فيهم من أهل الاستقامة وإلا لعمهم الهلاك وهدمت صوامع يعبد الله فيها على الدين الصحيح حسب الشريعة الموسوية، وكذلك زمان عيسى وزمان محمد ﷺ "[١].

وقال البغوي في معنى الآية: " أي ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدم في شريعة كل نبي مكان صلاتهم، لهدم في زمن موسى الكنائس، وفي زمن عيسى البيع والصوامع وفي زمن محمد ﷺ المساجد" [٢] وأما وجه تقديم الصوامع والبيع على المساجد فوضح القرافي أن ذلك ليس لأفضليتها بل على العكس، فتأخيرها لأفضليتها ومكانها نظير قول القائل: فلان يغالب المائة والألف[٣]، وقولهم: لا أبخل عليك بالدرهم والدينار فالترتيب من الأدنى إلى الأعلى، وتأخير المساجد لشرفها، وأن هدمها أعظم من هدم غيرها [٤]، ووضح الرازي سبب تقديم الصوامع والبيع في الذكر كما في قوله تعالى:{وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ} [فاطر: ٣٢] [٥] وزاد القرافي أن هذه الآية خصت المساجد بمزيد فضل، إذ بينت أنه يذكر اسم الله فيها كثيراً، حيث إن الضمير في اللغة العربية يعود إلى أقرب مذكور وأقرب مذكور في الآية إلى هذا الوصف هو المساجد، [٦]ووضح

(١) المصدر نفسه (٣٢٢/١).
(٢) معالم التنزيل للبغوي (٣٨٩/٥).
(٣) دعوة المسلمين للنصارى (٣٢٣/١).
(٤) الأجوبة الفاخرة ص ١٨ - ١٩.
(٥) تفسير الرازي (٣٦/١٢ - ٣٧).
(٦) الأجوبة الفاخرة ص ١٨ - ١٩.

القرطبي أن من أسباب تقديم مساجد أهل الذمة ومصلياتهم على مساجد المسلمين أنها أقدم بناء من المساجد[١]، وأما ما يتعلق بتعظيم القرآن للإنجيل كما في قوله تعالى:{فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾} [آل عمران: ١٨٤] فقد بين القرافي أن " أل " لاستغراق الجنس إشارة إلى جميع الكتب المنزلة المتقدمة[٢] أي الكتب النيرة بالبراهين والحجج [٣]، والمقصود بها الكتب المنزلة لا المبدلة التي بأيدي النصارى إذ هي غاية الوهن والضعف وسقم الحظ والرواية انقطاع السن بحيث لا يوثق بشيء منها [٤]ووضح الرازي أن في هذه الآية زيادة فضل للقرآن على الكتب المتقدمة، وذلك أن المراد بالبينات: المعجزات، وعطف الزبر والكتاب عليها يقتضي المغايرة، أي أن معجزات الأنبياء السابقين كانت مغايرة لكتبهم وذلك يدل على أن أحداً من الأنبياء ما كانت كتبهم معجزة لهم كالتوراة والإنجيل والزبور والصحف، بعكس القرآن فهو وحده معجزة، وهذا من خصائص رسول الله ﷺ [٥]. وأما وأما قوله تعالى :{وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ} [المائدة: ٤٦]، فقد بين الرازي معنى هذه الآية بما هو حجة على النصارى وذلك أن الهدى الذي في الإنجيل هو اشتماله على الدلائل على توحيد الله وتنزيهه عن الصاحبة والولد والند والمثل أما كونه مصدقاً لما بين يديه أي مبشراً بمبعث محمد ﷺ ومقدمه، كذلك كونه هدى مرة أخرى

(١) الجامع لأحكام القرآن ٤٩/٦).
(٢) الأجوبة الفاخرة ص ٢١.
(٣) دعوة المسلمين للنصارى (٣٢٤/١).
(٤) الأجوبة الفاخرة ص ٢١.
(٥) تفسير الرازي (١٠١/٥).

لاشتماله على البشارة بمحمد ﷺ فيكون ذلك الإنجيل سبباً لاهتداء الناس إلى نبّوة محمد ﷺ، ولا شك أن أشد وجوه المنازعة بين المسلمين وبين اليهود والنصارى هي إنكار نبوة محمد ﷺ، ولذلك نبه سبحانه وتعالى في هذه الآية أن الإنجيل يدل دلالة ظاهرة على نبوّته، فكان الإنجيل هدى في هذه المسألة التي هي أشد المسائل احتياجاً إلى البيان والتقرير [١]، ولذلك قال سبحانه وتعالى بعد هذه الآية:{وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ} [المائدة: ٤٧] أي ليقرأ أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه على الوجه الذي أنزله الله فيه من غير تحريف ولا تبديل، ومن ذلك الإيمان بما أنزله الله فيه من الدلائل على نبّوة محمد ﷺ [٢]. وقوله تعالى:{وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ} [المائدة: ٤٨] وضح القرافي أن المراد تصديق الكتب المنزلة لا المبدلة وهذا لا يمترى فيه عاقل [٣].

وأما ما يتعلق بمدح القرآن للنصارى ففي قوله تعالى:{لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا} [المائدة: ٨٢] قال القرطبي: هذه الآية نزلت في النجاشي وأصحابه لما قدم عليه المسلمون في الهجرة الأولى[٤]. وقال البغوي: لم يرد به جميع النصارى لأنهم في عداوتهم المسلمين كاليهود في قتلهم المسلمين وأسرهم وتخريبهم بلادهم وهدم مساجدهم وإحراق مصاحفهم، لا ولاء ولا كرامة لهم، بل الآية فيمن أسلم منهم مثل النجاشي

(١) المصدر نفسه (١٠/٦).
(٢) المصدر نفسه (١٠/٦).
(٣) الأجوبة الفاخرة ص ٢١.
(٤) الجامع لأحكام القرآن (١٦٥/٣).

وأصحابه [١]. وفي قوله تعالى:{وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ} [العنكبوت: ٤٦]، بيّن القرافي أن في ذلك دليلاً على أنهم على الباطل، ولو كانوا على الحق ما احتاج المسلمون إلى جدالهم [٢].

وهكذا فند العلماء المسلمون في عصر الحروب الصليبية شبه النصارى حول هذه الآيات وأمثالها والتي تعلقوا بها زعماً منهم أن فيها ثناء عليهم وإقراراً لباطلهم موضحين المعنى الصحيح لها إزالة للشبهة وإقامة للحجة [٣].

٣ – شبهات تعدد الزوجات في الإسلام:

وفي عصر الحروب الصليبية كان من ضمن كتاب لأحد القساوسة النصارى إلى أبي عبيد الخزرجي الإشارة إلى أن المسلمين خالفوا فعل آدم عليه السلام أبي البشر الذي لم تكن له إلا زوجة واحدة، وخالفوا التوراة وذلك بإباحة التعدد وقد أشار القرطبي إلى تعريض أحد كبارهم بإباحة التعدد في الإسلام بقول هذا النصراني عن النبي ﷺ:... ثم أمر بالإكثار من النساء ورخص في طلاقهن، وأحل تزويج المطلقات الفاجرات [٤]. وقد كان رد بعض العلماء المسلمين في عصر الحروب الصليبية على هذه الشبهة على النحو التالي:

أ – التعدد تشريع إلهي يجب التسليم له حيث قال الخزرجي: "فإن الذي أمرنا الله به من النكاح، وسن لنا الطلاق ليس لعاقل انتقاده لأن

(١) معالم التنزيل، للبغوي (٨٥/٣).
(٢) الأجوبة الفاخرة ص ٢٩.
(٣) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (٣٢٧/١).
(٤) الإعلام بما في دين النصارى في عصر الحروب الصليبية (٣٢٧/١).

قبولنا لذلك إنما هو بعد ثبوت الأصل" [١]وقال القرطبي في رده على أحد قساوسة الأندلس:" فذلك - أي التعدد - ما لا ينبغي أن ينكره أحد من العقلاء. فإنه من مجوزات العقول وقد ورد بذلك الشرع الصادق المنقول" [٢].

ب- إن التعدد كان لدى بني إسرائيل ونصت عليه التوراة، بل إن فيها الجمع بين القريبات المحرم الجمع بينهن في الإسلام، قال القرطبي في رده على القسيس النصراني: ".. ألم يجئ في التوراة أن إبراهيم كانت له سارة وهاجر، وكذلك ما ورد فيها أن يعقوب جمع بين ليئة وراجيل، وقد ثبت أيضاً أن سليمان كانت له مائة امرأة أو تسعة وتسعون" [٣] ثم ألزم القرطبي هذا النصراني بما لا مفر له منه وذلك بقوله: " فإن كذبتم شرعنا لأجل أنه اشتمل على جواز نكاح نساء كثيرة فلتكذبوا بنبوةّ إبراهيم ويعقوب وسليمان ولا فرق بين نبيّنا وبين هؤلاء الأنبياء في أن كل واحد منهم رسول يبلغ حكم الله " [٤].

ج- أن التعدد ليس فيه مخالفة لفعل آدم أبي البشر، حيث وضح الخزرجي أن اقتصار آدم عليه السلام على زوجة واحدة ضرورة لعدم وجود أخرى، ولذلك زوج ابنه بنته [٥].

د- أن التعدد فيه من الحكم العظيمة ما يجل عن الحصر، حيث

(١) مقامع الصلبان ومراتع أهل الإيمان ص ٢٦٢.
(٢) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ص ٤٥٤.
(٣) دعو المسلمين للنصارى (٣٣٠/١).
(٤) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (٣٣٠/١).
(٥) مقامع الصلبان ص ٢٦٣.

أشار القرطبي إلى جانب من هذه الحكم والتي من أعظمها تكثير النسل، وعمارة الدنيا بالذرية الصالحة [١].

هـ- أن التعدد في الإسلام مشروط بالعدل بين الزوجات فبعد أن وضح ابن الجوزي بعض أحكام التعدد في تفسير قوله تعالى:{فَٱنكِحُواْ مَاطَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ} [النساء: ٣]. قال ".. فإن خفتم ألا تعدلوا بين هؤلاء الأربع فانكحوا واحدة" [٢]. وهكذا بين العلماء المسلمون في هذه الفترة أن تعدد الزوجات تشريع إلهي ليس في الإسلام فحسب، بل ولدى الأنبياء السابقين، وأبطلوا كذلك ما تعلق به النصارى من شُبه حول هذا الأمر القصد منها تشويه الدين الإسلامي والتنفير منه ليظهر جلياً عناد النصارى في هذا الأمر وانحرافهم عن الفطرة البشرية والسنة الإلهية اتباعاً لأهوائهم وطاعة لكبرائهم [٣].

٤ – دعوى انتشار الإسلام بالسيف:

من أكبر الشبه التي أثارها أعداء الإسلام وما زالوا يثيرونها انتشاره بالسيف، وقد علقوا على أهداف الجهاد والسامية في الإسلام والتي منها، الرد على اعتداء المعتدين على المسلمين، وإزالة الحجب والحواجز والعراقيل التي تقف أمام الدعوة الإسلامية كي لا تصل إلى كافة الناس، وحراسة الدين وحمايته من أهل الباطل، وتأديب ناكثي العهد من المعاهدين وإغاثة المظلومين والمستضعفين من المسلمين[٤]. وفي عصر الحروب الصليبية كان من ضمن إثارة

(١) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ص ٤٠٥.
(٢) زاد المسير (٨٢/٢).
(٣) دعوة المسلمين للنصارى (٣٣١/١).
(٤) المصدر نفسه (٣٣٣/١).

النصارى ضد الإسلام دعوى انتشاره بالسيف، إذ قال أحد قساوستهم في رسالة له إلى أبي عبيدة الخزرجي: "... ودين الصليب فشا في الأرض دون سيف ولا قهر، ودينكم إنما ظهر بالسيف والقهر في الأرض " [١].

وقد تصدى علماء المسلمين للرد على النصارى في هذه الدعوى وكان ذلك على النحو التالي:

أ - بيان أن انتشار النصرانية ما كان إلا بسبب القتال ولولا ذلك لما بقي منها أثر

قال الخزرجي حول ذلك في رده على أحد قساوسة النصارى:... فكأنك قد غفلت عما كتبه مؤرخوكم وغيرهم من أن ابتداء دينكم إنما كان بأسباب القتال مع اليهود وكنتم تحرقونهم بالنيران، وتغرقونهم في البحار وتعملون فيهم جميع أنواع الذل والهوان ولولا ذلك لم يبق لكم اليهود أثراً[٢]. وقال القرافي حول هذه الشبهة من قبل النصارى: فلو التزموا شريعتهم في المسألة لم تقم لهم قائمة، ولم يبق منهم باقية[٣].

ب - أن النصارى في واقع أمرهم مخالفون لشريعتهم التي تحثهم على الصلح والمسالمة وعدم القتال والابتعاد عن المنازعة إلى أن تقوم الساعة حيث أورد الخزرجي نصوصاً من الإنجيل في ذلك منها: لا تقاوموا الشر، بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضاً [٤]. وقوله: ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضاً، ومن سخرك ميلاً واحداً فاذهب معه اثنين.. أحبوا أعداءكم باركوا

(١) مقامع الصلبان ومراتع أهل الإيمان ص ١١٥.
(٢) مقامع الصلبان ومراتع أهل الإيمان ص ٢٨٥.
(٣) الأجوبة الفاخرة ص ٨٩.
(٤) الكتاب المقدس، إنجيل متى الإصحاح (٣٩/٥).

لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيكم [١]، ثم عقب الخزرجي على ذلك بقوله:".. ومع ذلك فإنا نراكم - أي النصارى - أشد الناس تكالباً وحرصاً على القتل والقتال وبسط الأيدي والاعتساف في أقطار الأرض، تقتلون النفوس وتسلبون الأموال.. مع تحريم إنجيلكم ذلك عليكم وإيجابه الاستسلام لأعدائكم، ومن استحل حرمات الله تعالى فهو أشد الناس كفراً بالله وكتبه وأحكامه وقال القرطبي في مناقشة لهذه الدعوى: وأعجب من ذلك - أي دعواهم انتشار الإسلام بالسيف - تلبسهم بالقتال والإكثار منه أبد الدهر إلى اليوم، وهم مع ذلك يّدعون أن القتال غير مشروع لهم ويذمون الشريعة التي جاءت به، فهم قد ناقضت أفعالهم أقوالهم وشهدت على كذبهم أحوالهم [٢].

ج – إن كان القتال في الإسلام عيباً فهو كذلك في الأمم السابقة:

إذ قال الخزرجي في مناقشة للقسيس النصراني حول هذه الدعوى فإن كنت قلت ذلك لتعيب به الإسلام، فإنك عبت موسى بن عمران ويوشع بن نون ومن قبلهما ومن بعدهما من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فإنهم حاربوا الأمم الطاغية ببلادهم [٣].

د – إن القتال سنة أهل الحق مع أهل الضلال والمسلمون على هذه السنة حيث وضح كل من الخزرجي والقرافي ذلك، ومن ثم فالقتال من مناقب المسلمين وحسناتهم، لا من معائبهم وسيئاتهم [٤].

(١) مقامع الصلبان ص ٢٨٦.
(٢) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ص ٤٥٢.
(٣) مقامع الصلبان ومراتع أهل الإيمان ص ٢٨٥.
(٤) الأجوبة الفاخرة ص ٩٠.

هـ - إن الجهاد في الإسلام من أسباب حماية الدعوة: حيث وضح الخزرجي ذلك بأن النبيّ ﷺ ظل في قومه زمناً يدعوهم إلى عبادة الله وحده ونبذ الأصنام والأوثان فحاربه قومه وآذوه وضيقوا عليه وأصحابه، فكان الجهاد رافعاً لهذا الأذى ومكسباً قوة وهيبة للمسلمين، وممكناً لدعوة الحق، وبسبب عدم وجود ذلك في النصرانية فإن الدين الصحيح الذي جاء به المسيح عليه السلام ظل أهله مستضعفين بعده فترة فتلاشى وحُرِف وبدل، وما عليه النصارى اليوم إنما أفشاه قسطنطين ابن هلانة بالقهر والغلبة [1]، فكان عدم تشريع الجهاد في بداية النصرانية من أسباب ضعفها ومن ثم تحريفها وتبديلها.

و - إن القتال في الإسلام لا يكون إلا بعد قيام الحجة: حيث وضح ابن المتطبب أن جهاد النبي ﷺ كان بعد صبر دام أكثر من ثلاث عشرة سنة من الدعوة باللين وإقامة الحجة، ثم كان الأمر بالقتال بعد ظهور المعجزة، وقيام الحجة، ووضوح الدلالة وما كان إشهار السيف أبداً إلا بعد الإنذار والإعذار [2].

٥ - دعوى عدم جزم المسلمين بصحة القرآن لاختلاف الصحابة في جمعه وتعدد قراءاته:

مما أثاره النصارى حول كتاب الله في هذه الفترة ادعاءهم عدم جزم المسلمين بصحته لمخالفة عبد الله بن مسعود رضي الله عليه عثمان بن عفان رضي الله عنه في جمعه [3]، وأن تعدد القراءات

(١) النصيحة الإيمانية ص ١٤٢.
(٢) الأجوبة الفاخرة ص ٩٤ - ٩٥.
(٣) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (٣٣٨/١).

على سبعة قراء أشد من اختلاف الأناجيل عن أربعة رجال [1]، وقد رد القرافي على هذه الدعوى مبيناً أن خلاف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه للصحابة ليس في إثبات شيء ليس من القرآن أو حذف شيء فيه، إذ القرآن معلوم لجميع الصحابة بالتواتر، وإنما الخلاف في أن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه كان يقرأ القرآن ويضم إليه تفسيره، وكان يقرؤها فصام ثلاثة أيام متتابعات، فنازعه الصحابة لذلك حرصاً منهم ألا يضاف إلى القرآن مما ليس منه، وكان الصواب معهم، وهذا من حفظ الله عز وجل لكتابه كما وعد بذلك:{ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾} [الحجر: ٩]. وقال القرطبي في جمع القرآن: وكان هذا من عثمان رضي الله عنه بعد أن جمع المهاجرين والأنصار وجلة أهل الإسلام وشاورهم في ذلك فاتفقوا على جمعه بما صح وثبت في القراءات المشهورة عن النبي ﷺ، وإطراح ما سواها، واستصوبوا رأيه وكان رأيا سديداً موفقاً [2]وفيما يتعلق بتعدد القراءات فقد وضح بأنها جميعاً متلقاة عن النبي ﷺ بالتواتر، ثم إن هذا التعدد من رحمة الله بعبادة إذ قبائل العرب حين نزول القرآن كانت مختلفة اللهجات بين التضخيم والمد والقصر والإخفاء والإمالة وإعمال العوامل الناصبة والرافعة والجارة، ولو كلفوا كلهم بلهجة واحدة لشق عليهم [3] وأما فيما يتعلق بتشبيه النصارى اختلاف القرآن باختلاف الأناجيل فقد رد القرافي على ذلك مبيناً الفرق الواضح بين الأمرين، إذ الأناجيل لم تنقل إلينا بالتواتر

(١) المصدر نفسه.
(٢) الجامع لأحكام القرآن (٣٩/١).
(٣) الأجوبة الفاخرة ص ٩٨.

كالقرآن الكريم، بل نكاد نجزم بأن أكثرها ليس منزلاً وما هو إلا تواريخ وكلام كهنة وملوك حشرها النصارى في الإنجيل وزعموا أنها من الكتاب المنزل، ولذلك لم يجز المسلمون أن يجعلوا شيئاً من الأحاديث مع صحتها مختلطة بالقرآن ولا قول أحد من الصحابة [١]، ثم خاطب القرافي النصارى بقوله:... فلا تشبهوا أنفسكم بنا، فوالله ما اجتمعنا في شيء من هذا، بل أنتم في غاية الإهمال، ونحن في غاية الاحتفال[٢]وقد تحدث العلماء المسلمون في تلك الفترة في إبراز وجوه إعجاز القرآن وبيان خصائصه التي تفرد بها عن سائر الكتب [٣]مع إيضاح تناقض الأناجيل وبيان عدم صحتها [٤].

٦ – انتقادهم الطلاق في الإسلام:

في كتاب لأحد القساوسة النصارى في الأندلس بُعث به إلى المسلمين من مدينة طليطلة إلى قرطبة ينال فيه من الإسلام بما أورده من شبهات فيه، كان من ضمنها انتقاده للطلاق في الإسلام، وكيف أنه إذا بانت المرأة من زوجها لا يحل له أن يراجعها إلا بعد أن تنكح زوجاً غيره وأن ذلك من الأمر بالزنا وهو مخالف لقول المسيح: لا ينبغي للرجل طلاق زوجته إلا أن تزني، وإن زنت فعلاً فلا يحل له مراجعتها، ومن طلق امرأته فقد جعل لها سبيلاً إلى الزني - أعني من

(١) المصدر نفسه ص ٩٨ - ٩٩.
(٢) المصدر نفسه ص ٩٩.
(٣) دعوة المسلمين للنصارى (٣٤٠/١).
(٤) المصدر نفسه (٣٤٠/١).

طلقها بدون سبب - ومن زُوج مُطَلقةً فهو فاسق بها [١]. وقد رد القرطبي على هذا القسيس مبيناً أن عدم قبوله للطلاق إما يكون من جهة العقل أو من جهة الشرع، فإن كان من جهة العقل فإن العقل لا يحيل وقوع الطلاق، وإذا كان الأمر كذلك فكيف ينبغي لمن ينتسب إلى العقل أن ينكر نبّوة من قامت الأدلة القاطعة على صدقه من حيث إنه حكم بشيء يصح في العقل أن يوجد، وإن كان عدم قبوله من حيث إنه ممنوع من جهة الشرع، فإما أن يكون من جهة الشرائع كلها أو من بعضها، والأول باطل ففي التوراة التصريح بالطلاق والثاني جائز لجواز اختلاف الشرائع في بعض الأحكام لما يعلمه الله من اختلاف الأحوال والمصالح [٢]، ثم وضح القرطبي بعض المصالح التي لا تكون إلا بالطلاق والتي لا سبيل لعلاجها في الحياة الزوجية إلا به [٣]. وقال ابن قدامه بعد أن ساق الأدلة من الكتاب والسنة على مشروعية الطلاق: وأجمع الناس على جواز الطلاق، والعبرة دالة على جوازه، فإنه ربما فسدت الحال بين الزوجين فيصير بقاء النكاح مفسدة محضة، وضرراً مجرداً بإلزام الزوج النفقة والسكن وحبس المرأة مع سوء العشرة والخصومة الدائمة من غير فائدة، فاقتضى ذلك شرع ما يزيل النكاح، لتزول المفسدة الحاصلة منه [٤]. وكونه

(١) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ص ٢١٦.
(٢) المصدر نفسيه ص ٢٢٢.
(٣) المصدر نفسه ص ٢٢٢.
(٤) المغني (٣٢٣/١٠).

obeikandl.com

بيد الرجل ولم يعط المرأة الحق في ذلك لما علمه الشارع من ضعف المرأة وتقديمها العاطفة على العقل في كثير من الأحيان وما يحصل من جراء ذلك من الضرر لا ينسى ولا يتدارك [١]ووضح ابن قدامة أن للمرأة الحق في مفارقة زوجها إن خشيت ألا تؤدي حق الله في طاعته، فتخالعه بعوض تفتدي به نفسها منه وقد ورد في الحديث أنه جاءت امرأة ثابت بن قيس إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله ما أنقم على ثابت في دين ولا خلق، إلا إني أخاف الكفر، فقال رسول الله ﷺ :«**أتردين عليه حديقته؟**» قالت نعم فردتها عليه وأمره أن يفارقها [٢] وبين القرطبي أنه مع تشريع الطلاق في الإسلام إلا أنه مكروه، فعلى المسلم أن يتحاشاه قدر استطاعته، وإذا كان لابدّ منه فلا يكثر ويتمادى فيه [٣]وأما كون المطلقة ثلاثاً لا تحل لزوجها الأول إلا بعد زوج فوضح القرطبي في رده على هذه الشبهة: أن ذلك من رحمة الله إذ جعله عقوبة للرجل الذي يتمادى في إيقاع الطلاق فإذا علم الزوج أنه إذا أكثر من هذا المكروه الذي هو الطلاق عوقب بتفويت زوجته عليه ارتدع عن التمادي [٤] فيه، واشتد القرطبي في رده على القسيس النصراني في تشبيه نكاح المرأة من الزوج الثاني بالزنا بوصفه بالكذب والافتراء

(١) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ص ٢٢٣.
(٢) البخاري رقم ٥٢٧٦ المغني (٢٦٧/١٠).
(٣) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ص ٢٢٤.
(٤) المصدر نفسه (٣٤٥/١).

والجهل وذلك بقوله: واعلم يا هذا المفتري الكذاب، والمشنع المرتاب، أن العقلاء لا يرضون بما فعلت، ولا يأتون بمثل ما أتيت به وذلك أنك جهلت شرعنا وكذبت عليه، وعميت عليك مقاصده فنسبت الزور والفحش إليه [١]. ثم وضح القرطبي بعد ذلك الفرق بين الزنا والنكاح وأن نكاحها من الزوج الثاني صحيح وفق شريعة صحيحة، وأنه نكاح اكتملت شروطه وأركانه وانتفت موانعه، وتشبيه هذا القسيس له بالزنا من العناد والتمويه والتزوير الذي قصد به استزلال العامة وتنفيرهم من دين الإسلام، وإلا لم يقل أحد من المسلمين بإجبار الزوج الثاني على طلاقها حتى يرجع إليها الأول، بل إنه يملك منها ما يملكه الأول، فإن شاء طلقها وإن شاء أمسكها وإن كان زواجه منها لأجل أن يحللها للزوج الأول كان نكاحاً فاسداً [٢]وفي تفصيل ابن قدامة لشروط عودتها إلى زوجها الأول أكد فساد النكاح من الزوج الثاني إذا كان القصد منه تحليلها للزوج الأول [٣].

٧ – دعوى أن المسلمين وثنيون وكفار:

قال أكبر دعاة الحروب الصليبية في أوروبا البابا أوربان الثاني في خطابه أمام مجمع كليرمونت في فرنسا والذي دعا فيه إلى القيام بالحروب الصليبية:... " إني أخاطب الحاضرين وأعلن لأولئك الغائبين، كما أن المسيح يأمر بهذا، إن ذنوب أولئك الذاهبين إلى

(١) المصدر نفسه (٣٤٥/١).
(٢) المصدر نفسه (٣٤٥/١).
(٣) المغني (٥٥١/١٠).

هناك سوف تغفر إذا انتهت حياتهم بأغلالها الدنيوية سواء أثناء مسيرتهم على الأرض أو عند عبورهم البحر، أو في خضم قتالهم ضد الوثنيين... يا له من عار إذ قام جنس خسيس مثل هذا، جنس تستعبده الشياطين بهزيمة شعب يتحلى بإيمان عظيم بالرب [١]، ووصف فوشيه شارتر أحد مؤرخي الحروب الصليبية الفرنج وأبرز قساوستهم وممن اشترك في كثير من أحداث هذه الحروب وصف المسلمين بهذه الصفة في كتابته لتاريخ حملات النصارى الأولى في هذه الحروب، ففي ثنائه على البابا أوربان الثاني الداعي الأول للحروب الصليبية قال:".. كذلك بذل جهوداً قوية لطرد الوثنيين من أراضي المسيحيين" [٢]، ومؤرخ صليبي آخر عاصر أحداث الحروب الصليبية وتولى بعض المهام الدينية للصليبيين في فترة هذه الحروب وصف المسلمين وهو يكتب تاريخ الحروب الصليبية بالكفر، ومن ذلك: قوله وهو يتحدث عن بعض المواقع العسكرية بين المسلمين والصليبيين:".. ورغم ما كان يبدو من تأهب الكفار للقتال إلا أن أملهم في النصر أو حتى الصمود طويلاً كان أملاً واهياً، ومن ثم كان هدفهم الوحيد هو شغل الصليبيين بالقتال" [٣]، وها هو أحد "قادتهم وهو بلدوين" أمير الرها في أحد خطاباته يصف المسلمين بهذه الصفة وذلك بقوله:".. لقد استطاع شعب الفرنجة بإيحاء وتوجيه علويين أن يحرر مدينة القدس الطاهرة من انتهاكات الكفار [٤]، واتهام النصارى

(١) الوجود الصليبي في الشرق العربي، وفوشيه الشارتي ص ٩٣.
(٢) المصدر نفسه ص ٩٦.
(٣) الحروب الصليبية، وليم الصوري ترجمة د./حسن حبشي (٢٥١/٢).
(٤) الحروب الصليبية، وليم الصوري ترجمة د. حسن حبشي (٢٥١/٢).

للمسلمين بالوثنية ليس إلا كما ورد في المثل: رمتني بدائها وانسلت، إذ الوثنية الصريحة والكفر بالله سبحانه وتعالى هو دين النصارى المحرف فهي تهمة ظاهرة البطلان"، وكتب العلماء المسلمين في العقيدة بشكل عام تضمنت الكثير مما يبطل هذه الدعوى ومن خلال الجهود الدعوية للمسلمين تجاه النصارى في فترة الحروب الصليبية ومناقشتهم للعقائد النصرانية الباطلة والردود على شبههم يمكن استخلاص تفنيد هذه الدعوى على النحو التالي:

أ – إن الدين الإسلامي دين التوحيد:

والنصرانية أساسها الشرك والكفر بالله، وتوحيد الله سبحانه وتعالى وتنزيهه عن الشرك والمثل والصاحبة والولد من مسلمات الدين الإسلامي الذي بعث النبّي ﷺ لتقريره والدعوة إليه، وهو عقيدة المسلمين الراسخة التي لا يتطرق إليها الشك، قال تعالى:{قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ} [الإخلاص: ١ - ٤] لذلك انطلق العلماء المسلمون في ردودهم ودعوتهم ونقاشاتهم مع النصارى في هذه الفترة من مبدأ مسلم به لديهم، وهو أن الإسلام دين التوحيد والنصرانية - المحرفة - دين الكفر والشرك مع الله ففي مستهل كل كتاب أورد أو نقاش للعلماء المسلمين في هذه الفترة مع النصارى تكون بدايته تقرير توحيد الله جلّ وعلا وتنزيهه عن شرك النصارى فيه ومن ذلك قول الجعفري في بداية كتاب التخجيل: الحمد لله الذي لا يتكثر بالأعداد، الماجد الذي لا تضارعه الأشكال والأنداد، المقدس عن الشريك والصاحبة والأولاد المنزه

عن الذات والصفات عما يقول أهل الإلحاد [١] وفي مستهل رد أبي عبيدة الخزرجي على رسالة أحد القساوسة قال: بسم الله الرحمن الرحيم إله فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد سلام على المهتدين والحمد لله رب العالمين... فضلنا على جميع الأجناس... نوحد الله بموجبات توحيده ونمجده سبحانه حق تمجيده [٢].

ب – بيان تأكيد الإسلام على لزوم التوحيد ونبذ الشرك:

ومن اهتمام بعض علماء عصر الحروب الصليبية لهذا الأمر: قول القرطبي في تفسير قوله تعالى:{وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا} [النساء: ٣٦] أجمع العلماء على أن هذه الآية من المحكم المتفق عليه، ليس منها شيء منسوخ وكذلك هي في جميع الكتب، ولو لم يكن كذلك لعُرف ذلك من جهة العقل وتصفيتها من شوائب الرياء وغيره [٣] قال تعالى:{قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠} [الكهف: ١١٠].

ج – بيان أن الشرك محبط للعمل:

ففي تفسير قوله تعالى:{لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ } [الزمر: ٦٥] قال القرطبي: لئن أشركت يا محمد ليحبطن عملك وهو خطاب للنبي ﷺ خاصة وقيل: الخطاب له والمراد أمته... والإحباط الإبطال والفساد [٤].

(١) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (٨٧/١).
(٢) مقامع الصلبان ومراتع أهل الإيمان ص ١٢.
(٣) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (٣٤٩/١).
(٤) الجامع لأحكام القرآن (١٨٠/٨).

د – بيان أن الشرك أعظم الذنوب وأن الله لا يغفر:

قال القرطبي في تفسير قوله تعالى:{ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ} [النساء: ١١٦] هذا من المحكم المتفق عليه الذي لا اختلاف فيه بين الأمة [١]وفي تفسير قوله تعالى:{وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا} [النساء: ٤٨] بين البغوي أن الشرك موجب للنار حيث أورد حديث جابر رضي الله عنه قال: أتى النبيّ ﷺ رجل فقال: يا رسول الله ما الموجبتان؟ قال: من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ومن مات يشرك بالله دخل النار [٢].

هـ – إظهار نبذ الإسلام لكل مظاهر الوثنية من أصنام وصور، وتماثيل وبناء على القبور وكل ما هو وسيلة للشرك:

ففي تفسير قول الله تعالى:{ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦۗ وَأُحِلَّتۡ لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ ٣٠} [الحج: ٣٠] قال القرطبي: الرجس الشيء القذر والوثن التمثال من خشب أو حديد أو ذهب أو فضة والنصارى تنصب الصليب وتعبده وتعظمه فهو كالتمثال أيضاً وسمي الصنم وثناً لأنه ينصب ويركز في مكان فلا يبرح عنه، يريد اجتنبوا عبادة الأوثان [٣]، وقد أمر النبي ﷺ عدياً أن يزيل الصليب عنه وقال: اطرح هذا الوثن عنك [٤]. وقال الرازي: ثم إنه لما حث سبحانه وتعالى على تعظيم حرماته وحمد من يعظمها

(١) المصدر نفسه (١٥٩/٣).
(٢) مسلم، كتاب الإيمان رقم ٩٣.
(٣) تفسير القرطبي (٣٧/٦).
(٤) تفسير القرطبي (٣٧/٦).

أتبعه بالأمر باجتناب الأوثان [١]، وسمى الأوثان رجساً للتأكيد على وجوب تجنبها لأن عبادتها أعظم من التلوث بالنجاسات [٢]وقد أبرز كثير من العلماء في هذه الفترة موقف النبي ﷺ من أصنام المشركين التي كانت عند الكعبة عند فتح مكة حيث كان يكسرها ﷺ وهو يتلو قوله تعالى:{ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾} [الإسراء: ٨١]، فبعد أن عرض القرطبي ذلك بين أن معنى مجيء الحق أي الإسلام وزهوق الباطل أي الشرك [٣].

و – فضح النصارى بإبراز مظاهر الوثنية والشرك لديهم:

وذلك بتبجيلهم الصور والتماثيل والصلبان وإشراكهم في عبادة الله ففي مناقشة بعض العلماء المسلمين لعقائد النصارى وشعائرهم كان من ضمن ما ناقشوه تبجيلهم للصور والتماثيل مبينين أن ذلك ما هو إلا وثنية انتقلت إلى النصرانية واتخذها النصارى في مجامعهم ديناً وعبادة محرفين بذلك ما نزل عليهم من الحق، حيث وضح هؤلاء العلماء أن هذا من كفرهم القبيح الذي ابتدعوه في ديانتهم [٤]، مع إبرازهم لشركيات النصارى وكفرهم بالله من خلال نقض قانون الأمانة لديهم الذي هو أصل إيمانهم، وإبطال عقيدة التثليث وتفنيد ما اعتقدوه من الألوهية في عيسى عليه السلام [٥].

* * *

(١) تفسير الرازي (٢٨/١٢).
(٢) المصدر نفسه (٢٨/١٢).
(٣) تفسير القرطبي (٢٠٤/٥).
(٤) دعوة المسلمين للنصارى (٣٥٤/١).
(٥) المصدر نفسه (٣٥٤/١).